

في مزارات الإسكندرية مع الشيخ الخالدي للككتور عبد الوهاب عزام

لقيت الشيخ العلامة خليل الخالدي في الإسكندرية ، ففرحت بمقدمه إلى هذه المدينة ، وكنت أحسبه لا يعرف كثيراً من مشاهدا وأخبارها . جلسنا نتحدث والشيخ إذا ترك لشأنه لم يتجاوز حديثه الكتب والمؤلفين ومعاهد العلم ودور الكتب . فلما تحدث عن خطوط العلماء الجيدة والرديئة - وقد ذكرت هذا في مقال سابق - قال : وكان الطرطوشي من أصحاب الخطوط الرديئة . فلما ذكر الطرطوشي وهو من علماء الإسكندرية نقلت الحديث إلى علماء هذه المدينة ؛ فإذا الشيخ عالم بأخبارهم خبير بمزاراتهم . ذكر من المحدثين والعلماء عبد الرحمن بن هرمز والسَّانِي والقاضي سند وابن النثير . وذكر من الصوفية أبا العباس المرسي والبوصيري والأخضر وإياقوت الدرر . وتواعدنا يوماً نزر فيه هؤلاء الكبراء

وتلاقينا يوم الإثنين سادس رجب (٢١ أغسطس) ، وكان معنا الأستاذان عبد الفتاح عزام وعبد الفقار الطنطاوي . فذهبنا صوب الميناء نسأل عن عبد الرحمن بن هرمز حتى وقفنا على مسجد صغير في أحد جوانبه حجرة يتوسطها قبر يقول الناس إنه لابن هرمز ، ورأينا لوحاً على الجدار كتب فيه أن هذا قبر عبد الرحمن ابن هرمز المتوفى سنة سبع عشرة ومائة . قال الشيخ : وهو بمن روى عن أبي هريرة . قلت : بل هو من واضي علم النحو ومن تلاميذ أبي الأسود الدؤلي . قال ابن الأنباري :

وأما الأعرج فهو أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأهرج . وكان مولى لمحمد بن ربيعة بن الحارث بن المطلب . وكان أحد القراء طالاً بالعربية وأعلم الناس بأناسب العرب . وخرج إلى الإسكندرية وأقام بها إلى أن مات سنة سبع عشرة ومائة

ونقل السيوطي عن الزبيدي أنه كان من أول من وضع العربية . ثم سرنا إلى مسجد آخر صغير فالتفتنا في حجرة متصلة به قبرين كبيرين كتب على أحدهما : أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد النهري الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢١ . قال الشيخ : له كتاب

البدع وهذا الكتاب وكتاب البدع لابن وضاح مأخذ كتاب الاعتصام للشاطبي صاحب الموافقات . قال وبين وفاة الطرطوشي وابن رشد الكبير شهران أو ثلاثة

أقول : هو أحد علماء المسلمين الأعلام ينسب إلى طرطوشة من بلاد الأندلس نشأ بها وطلب العلم في البلاد الأندلسية ، أخذ عن أبي الوليد الباجي وابن حزم . ورحل إلى الشرق سنة ست وسبعين وأربعمئة وحج ولقي شيوخ العراق وأقام بالشام زمناً ودرس بها . وله مؤلفات أعظمها سراج الملوك

ونقل ابن خلكان عن كتاب الصلة لابن بشكوال أنه : « دفن في مقبرة وعلة قريباً من البرج الجديد قبلي الباب الأخضر في الإسكندرية »

والقبر الذي بجانب قبر الطرطوشي كتب عليه أنه قبر محمد الأسعد . ولست أدري من هو

تركنا مسجد الطرطوشي لنزور اثنين من جلة العلماء القاضى سند والحافظ السَّانِي ، فدلنا على مسجد صغير جداً فإذا قبر بجانب جداره الغربي علق فوقه لوح كتب فيه أنه قبر القاضي سند بن عفان الأزدي المتوفى سنة ٥٤١ هـ . قال الشيخ الخالدي : وهو شارح المدونة في فقه الإمام مالك . وقرأت في حسن المحاضرة أنه « تفقه بالطرطوشي وجلس في حلقاته بمده وانتفع به الناس وشرح المدونة وكان من زهاد العلماء وكبار الصالحين ، فقيماً فاضلاً مات بالإسكندرية سنة إحدى وأربعين وخمسمائة »

وسألت أين قبر الحافظ السَّانِي فأشار خادم المسجد إلى موضع بجانب سارية أمام النبر وقال : قد سوى القبر بالأرض ليتسع المكان للصلاة . قال الخالدي وكذلك رأيت في مساجد المغرب يصل الناس على بلاطات تحتها قبور

والحافظ السَّانِي ولد في أصفهان حوالي سنة ٤٧٥ وشغل بالحديث ورحل في طلبه وورد بغداد وأخذ اللغة عن الخطيب التبريزي . وقدم ثغر الإسكندرية سنة إحدى عشرة وخمسمائة وأقام بها أكثر من ستين سنة حتى توفي سنة ٥٧٦ . وقصده الناس من مصر وغيرها يأخذون عنه وذاع صيته في الآفاق . وبنى له المادل وزير الظافر الفاطمي مدرسة في الإسكندرية وبقيت تعرف باسمه زمناً طويلاً ودفن في مقبرة وعلة أيضاً

وكانت مقبرة وعلة مقبرة كبيرة بالإسكندرية دفن فيها كثير من العلماء . وسمت من الشيخ الخالدي ثم قرأت في رحلة

في النحو فقد طبقت شهرتها الآفاق وهدت من أمهات كتب العربية . وحسبك في النحو الكافية وشرحها وفي الصرف الشافية وشرحها

لم نستطع الوصول إلى قبره إذ حلت دونه العبارات القاعة في جامع أبي العباس . قال ابن خلكان : ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ الصالح ابن أبي أسامة

وخرجنا بعد زيارة أبي العباس فررنا باثنين من كبار الصوفية : المكين الأسمر عبد الله بن منصور الإسكندراني شيخ القراء بالإسكندرية في وقته . مات سنة ٦٩٢

وقال ابن رشيد : « الشيخ المقرئ المجدد مكين الدين أبو محمد عبد الله بن منصور بن علي ويلقب بالمكين الأسمر أحد الصالحاء الفضلاء ، وهو المنصدر لإقراء القرآن بالإسكندرية . قرأت عليه يدكان منزله .. عمره الله ببقائه .. فحما يوم السبت الحادي والعشرين لمجدي الآخرة من عام أربعة المذكور ، جميع المجالس الخسبية السلمانية التي أملاها الحافظ أبو طاهر الساني الخ . »

وبجانب المكين قبر لياقوت المرش أحد الصالحين . وهو ياقوت بن عبد الله الحبشي العارف تلميذ أبي العباس الرمسي . وكان الناس يقدمونه للدعاء والتبرك . مات بالإسكندرية ٧٣٢ . قال الشيخ الخالدي : ذكره ابن عطاء الله في تأليفه

وأما ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم فهو أحمد بن محمد ابن عبد الكريم الجذابي الإسكندراني . كان صرفياً على طريقة الشاذلية ، جامعاً لما لم شتى من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه ، وأخذ عن أبي العباس الرمسي ، وأخذ عنه التقي السبكي ، وله كتب منها كتاب الحكم وهو من أروع ما أثر من أدب الصوفية . وكتاب التنوير في إسقاط التديير . وكتاب لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس ، والشيخ أبي الحسن (أبي العباس الرمسي وأبي الحسن الشاذلي)

ومات بالدرسة المنصورية بالقاهرة سنة ٧٠٩ ودفن بالقرافة وعلى مقربة من ضريح الأسمر وياقوت في الجانب الآخر من الشارع بناء جديد نقلت إليه بلدية الإسكندرية رفات جماعة من الصالحين كانت في قبور متفرقة في المدينة . وقد قرأت على الجدار من الخارج أسماء أحد عشر منهم . وأخبرنا الخادم أنهم تسعة عشر .

قبر الراهب هزاسم

(إسكلام صلة)

ابن رشيد رواية عن النجيبى : « وكان شيخنا الحافظ السلقي رحمه الله يقول لأعلم في البلاد التي تطوفها تربة جمعت قبور ثلاثة أئمة في ثلاثة مذاهب إلا التربة التي بمقبرة وعة ، وقبور الأئمة الثلاثة في الثلاثة المذاهب بالمقبرة المذكورة متلاصقة : قبر أبي الخطاب الشافعي ، وقبر أبي بكر الطرطوشي المالكي ، وقبر أبي بكر محمد بن إبراهيم الحنظلي » (بني الحنظلي على عادة الأندلس في النسبة إلى أبي حنيفة)

وقرأت في رحلة ابن رشيد أيضاً :

« زرنا بالإسكندرية سماها الله تعالى قبر الإمام الزاهد المحدث . آخر الحفاظ بقرية المحدثين أبي الطاهر السلقي داخل باب الأخضر على مقربة منه وله سنام كبير عال ، وعلى مقربة من قبر الزاهد الفقيه الإمام أبي بكر الطرطوشي رحمه الله ، وعلى قبره مكتوب : توفي الإمام الزاهد أبو بكر محمد بن الوليد النهري في جمادى الآخرة سنة ٥٢٠

وبمقبرة من الجدار الغربي قبر يقال إنه قبر عبد الرحمن ابن هرمس الأعرابي رحمه الله »

وسرنا بعد إلى جامع المنير فراقنا جمال هندسته ونقشه وتمهلت وجوهنا وانبطت أنفسنا لدخله حتى قلت: حبذا جلسة طويلة في هذا المسجد الطويل . وزرنا ضريح الشيخ ابن المنير وهو في جانب من المسجد عليه قبة شاهقة

وإبن المنير هو عبد الواحد بن شرف الدين بن المنير . قال السيوطي نقلاً عن ابن فرحون : كان شيخ الإسكندرية ويلقب بمز القضاة فاضلاً أديباً عَمَّرت وانتفع به الناس ، أخذ الفقه عن عمِّيه ناصر الدين وزين الدين ، وألف تفسيراً في عشرة مجلدات (لهل يريد تفسيره السمي الاتصاف من صاحب الكشاف)

ولد سنة ٦٥١ وتوفي سنة ٧٣٦

ثم قصدنا إلى زيارة الصوفية فرزنا أبا العباس الرمسي ، وقبره الآن تحت المسجد العظيم الرائع الذي تشيده وزارة الأوقاف الآن ويرجى إتمامه قريباً . وهو أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري من كبار الصالحين ، وأكبر أصحاب أبي الحسن الشاذلي . توفي سنة ٦٨٦

وعلى مقربة منه قبر العالم الكبير عثمان ابن عمر المعروف بابن الحاجب أحد أئمة العلماء المصريين في القرن السابع . وله بأسنا في العقد الثامن من القرن السادس وتوفي بالأسكندرية سنة ٦٤٦ . وله مصنفات في الفقه والأصول . وأما مصنفاته